العدد ٢٠١٥/٣٥

الأحد ٣٠ آب

تذكار آبائنا الآجلاّء في القديسين

ألكسندروس ويوحنا وبولس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الثاني

الرسالة

(١كورنثوس ١٦: ١٣-٢٤)

يا إخوةُ اسهروا اثبُتوا على الإيمانِ كونوا رِجالًا تشدَّدوا* ولتكُن أمورُكم كلُّها بالمحبَّةِ* وأطلُبُ إليكم أيُّها الإخوةُ بما أنَّكم تعرِفونَ بيتَ إستفاناسَ أنَّه باكورةُ أخائيَةَ وقد خصَّصوا أنفُسَهم لخدمةِ القديسين* أن تخضعوا أنتم أيضاً لمِثلِ هؤلاء ولكلِّ مَن يعاوِنُ ويتعب* إنّي فرِحٌ بحضورِ استفاناسَ وفُرتوناتُس وأخائِكوسَ لأنَّ نقصانَكم هؤلاء قد جبروه* فأراحوا روحي وأرواحَكم. فاعرِفوا مِثلَ هؤلاءِ* تُسلِّمُ عليكم كنائسُ آسِية. يُسلِّمُ عليكم في الربِّ كثيراً أكيلا وبرسْكِلَّة والكنيسةُ التي في بيتهما* يُسلِّمُ عليكم جميع الإخوة. سلِّموا بعضُكم على بعضٍ بقُبلةٍ مقدَّسة* السلامُ بيدي أنا بولس* إن كان أحدٌ لا يُحبُّ ربَّنا يسوعَ المسيحِ فليكُن مفروزاً. ماران أثا* نعمةُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ معكم* محبَّتي مع جميعكم في المسيح يسوع، آمين.

ماران أثا

يُقرأ على مسامعنا في هذا اليوم فصل من رسالة القدّيس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١كور١٦: ١٣-٢٤)، وفي هذا الفصل تتقاطع فكرتان أساسيّتان ترافق المؤمن طوال حياته في المسيح: الثبات في الإيمان وانتظار مجيء الرب.

«ماران أثا»، أو «مارانــاثــا»، تعبير آرامي يعني «يا ربّنا، تعال»، وقد استعمله القديس يوحنا في كتاب الرؤيا (٢٢: ٢٠)، وساد في أوساط المؤمنين في الكنيسة الأولى خاصة في الاجتماعات الإفخارستيّة (كتاب تعاليم الرسل الاثني عشر ١٠: ٦). استعمل المؤمنون هذا العبارة، وما زالوا، ليعبّروا عن توقهم ليوم مجيء الربّ الأخير. مجيء الربّ في اليوم الأخير في صلب إيماننا، وقد وضعته الكنيسة المقدّسة في دستور الإيمان، في القسم المتعلّق بالربّ يسوع: «وأيضًا يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات». ونحن المؤمنين نبدأ يومنا بالتعبير عن هذا الإيمان عبر تلاوته في صلاة نصف الليل، كما نتلوه في كلّ قدّاس إلهي قبل الكلام الجوهري.

حياة الإنسان المؤمن في أساسها توجّه نحو اليوم الأخير، يوم مجيء الربّ، حين نلتقي معه ونكون معه على الدوام: «فإنّنا نقول لكم هذا بكلمة الربّ إنّنا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الربّ لا نسبق الراقدين. لأنّ الربّ نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أوّلاً. ثمّ نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الربّ في الهواء، وهكذا نكون كلّ حين مع الربّ» (١تسا٤: ١٥-١٧).

غير أنّ طول انتظار يوم الربّ أدّى بالبعض إلى تصوّرات لا أساس لها لتحديد تاريخ هذا اليوم، لهذا نبّه الرسل المؤمنين إلى هذا الموضوع ومنعوهم من مثل هذه التحديدات الزمنيّة: «ثمّ نسألكم من جهة مجيء ربّنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعًا عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروحٍ ولا بكلمةٍ ولا برسالةٍ كأنّها منّا أيْ أنّ يوم المسيح قد حضر» (٢تسا٢: ١-٢). لا أحد من البشر يعرف يوم مجيء الربّ (مر١٣: ٣٢)، كما أنّ الإنجيلي لوقا يقطع الطريق على من يسعون لتحديده، بقوله على لسان الربّ نفسه، إنّه لا يمكنك تحديد ذلك اليوم، ولكن

عليك أن تحياه وكأنّك واقف في حضرة الله، في ملكوته: «ولمّا سأله الفريسيّون متى يأتي ملكوت الله أجابهم وقال لا يأتي ملكوت الله بمراقبة، ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك، لأنّ ملكوت الله داخلكم» (لو١٧: ٢٠–٢١).

فإذا كان من غير الممكن ترقّب مجيء الربّ زمنيًّا، كيف ننتظره إذًا؟ إنّ من يسعون إلى تحديد زمنيّ ليوم الربّ قد أضاعوا الهدف من انتظاره. الهدف هو أن نلاقي الربّ يسوع، فيجدنا كما طلب منّا أن نكون، محبّين له ومحبّين القريب كالنفس (مت٢٢: ٣٧–٤٠؛ ٢٥: ٣١–٤٦)، وذلك يحتاج إلى الصبر (يع٥: ٧–١١).

إذا أخذنا رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، نلاحظ أنّها رسالة تعليميّة بامتياز في كيفيّة التصرّف والعيش وفق وصايا الربّ. ويأتي هذا المقطع الذي يُقرأ على مسامعنا، وهو المقطع الأخير من هذه الرسالة، ليعطينا الوصيّة الأخيرة وهي الثبات في ما تعلّمنا إيّاه: «اسهروا. اثبتوا في الإيمان. كونوا رجالًا. تقوّوا. لتصر كلّ أموركم في محبّة ... إن كان أحد لا يحبّ الربّ يسوع المسيح فليكن أناثيما (مفروزًا). ماران أثا (تعال يا ربّنا)».

في اليوم الأخير سيديننا الربّ يسوع المسيح على مدى ثباتنا في وصاياه، أي على مدى تطبيقنا لهذه الوصايا (مت٢٥: ٣١–٤٦). على هذه الحال نحن المؤمنين نترقّب مجيء الربّ، وجهادنا هو الثبات على ما منحنا إيّاه الربّ. لقد أعطانا الربّ روحه يوم المعموديّة. لقد قدّسنا، إذ جعلنا له أخصّاء (هذا معنى القداسة)، وعلينا المحافظة على هذا الروح فينا بالتصاقنا بالربّ يسوع من خلال محبّتنا للآخر على قدر محبّتنا لذواتنا، والاهتمام بمن هو محتاج. لقد أتى الربّ إلى كلّ محتاج ودعانا أن نسير على خطاه. لم يطلب منّا الربّ أن ننتظره جالسين لا نعمل شيئًا. ثباتنا في الإيمان هو في تفعيل المحبّة التي وضعها الله في قلوبنا إذ أحبّنا حبًّا لا يقاس: «هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة» (يو٣: ١٦)، «نحن نحبّه لأنّه هو أحبّنا أولًا» (١يو٤: ١٩)، «لأنّه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبّة» (غل٥: ٦).

من هذا المنطلق يمكننا أن نستنتج أن مجيء الربّ ليس هو الغاية، بل إنّه محفّز لنا على المحبّة. وقد عبّر عن ذلك الرسول بولس في رسالته إلى أهل فيليبي عندما فضّل العناية بأهل فيليبي على الانطلاق للقاء المسيح: «لأنّ لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح. ولكن إن كانت الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي فماذا اختار؟ لست أدري. فإنّي محصور من الاثنين. لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جدًّا. ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم. فإذ أنا واثق بهذا أعلم أني أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدّمكم وفرحكم في الإيمان» (في١: ٢١–٢٥). أضف إلى ذلك أنّ كلّ عمل محبّة يقوم به المؤمن تجاه الآخر يعمله مع الربّ نفسه، كما ذكر الرب يسوع في مَثَل الدينونة (مت٢٥: ٣١–٤٦). بهذه الطريقة يلتقي المؤمن بالرب حتّى قبل مجيئه، في كلّ عمل وفق وصاياه.

المسيح يأتي إلينا ونحن ما علينا سوى الثبات على الإيمان والرجاء والمحبة. الثبات على ما منحنا إيّاه

الإنجيل

(متى ٢١: ٣٣–٤٢)

قال الربُّ هذا المَثَل. إنسانٌ ربُّ بيتٍ غرسَ كرماً وحوَّطهُ بسياجٍ وحفر فيه مَعْصَرَةً وبنى بُرجاً وسلَّمه إلى عَمَلَةٍ وسافر* فلمَّا قَرُبَ أوانُ الثمر أرسل عبيدهُ إلى العَمَلة ليأخذوا ثمرهُ* فأخذ العَمَلةُ عبيدَهُ وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورَجَموا بعضاً* فأرسل عبيداً آخرين أكثرَ من الأوَّلين فصنعوا بهم كذلك* وفي الآخِر أرسل إليهم ابنَهُ قائلاً سيهابون ابني* فلمَّا رأى العَمَلةُ الإبنَ قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارِثُ، هلمَّ نقتُلُهُ ونستولي على ميراثِه* فأخذوهُ وأخرجوهُ خارِجَ الكرم وقتلوهُ* فمتى جاءَ ربُّ الكرم فماذا يفعلُ بأولئك العَمَلة* فقالوا له إنَّه يُهلِك أولئك الأردياءَ أردأَ هلاكٍ ويسلِّمُ الكرمَ إلى عَمَلَةٍ آخرين يؤدُّون له الثمرَ في أوانه* فقال لهم يسوع أَمَا قرأتُم قطُّ في الكتب إنَّ الحجرَ الذي رَذَلَهُ البنَّاءونَ هو صار رأساً للزاوية. مِنْ قِبَلِ الربِّ كان ذلك وهو عجيبٌ في أعيُنِنا.

تأمل

ماذا يقصد الرسول بولس بالضبط عن طريق قوله «لتكن كلّ أموركم في محبّة»؟ يقصد ما يلي: «إن كان أحد يوبّخ، إن كان أحد يحكم أو يُحكَم عليه، إن كان أحد يعلّم أو يتعلّم، فليصر كلّ ذلك في محبّة لأن الرذائل السابقة كلّها تأتي من إهمال المحبّة. لأنه لو لم يكونوا قد أهملوها لما سقطوا في الكبرياء وقالوا «أنا لبولس وأنا لأبولّس» (١ كور ١: ١٢). لو كانت المحبّة موجودة لما التجأوا إلى المحاكم حتى ولو حُكم عليهم. لو كانت المحبّة سائدة فيما بين الكورنثيين لما أخذ الواحد امرأة أبيه، لما ازدروا بإخوتهم الفقراء، لما كانوا انفصلوا عن بعضهم البعض واتّبعوا البدع والهرطقات، لما وقعوا في المجد الباطل من أجل المواهب. لذلك يقول في كلّ هذا: «لتصر كل أموركم في محبّة»...

أنتم تعرفون بيت استفاناس إنهم باكورة أخائيّة وقد رتّبوا أنفسهم لخدمة القدّيسين» (١ كور ١٦: ١٥).

لقد ذكر الرسول عائلة استفاناس انهم باكورة المؤمنين. هذا ما يشكّل مديحاً. ليس بقليل أن يهتدي الإنسان إلى المسيح قبل غيره. لذلك في رسالته إلى أهل رومية يمدح البعض ويقول: «لقد آمنوا بالمسيح قبلي». لم يقل هنا مجرّد آمنوا بل قال الله يوم المعموديّة. لقد أعطانا الكمال وعلينا الثبات في هذا الكمال وهو يمنحنا الحياة الأبديّة: «اسهروا إذًا لأنّكم لا تعلمون في أيّة ساعة يأتي ربّكم ... فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيّده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه. طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيّده يجده يفعل هكذا. الحقّ أقول لكم إنّه يقيمه على جميع أمواله» (مت٢٤: ٤٢، ٤٥–٤٧).

السنة الطقسية

«يا إله الكل الفائق الجوهر بالحقيقة، يا مبدع الدهور وسيدها، بارك دَوْر السنة مخلّصاً برحمتك التي لا تُحصى، أيها الرؤوف، جميع الذين يعبدونك أيها السيد وحدك، ويهتفون نحوك بخوف قائلين: أيها الفادي امنح الجميع عاماً مخصباً» (قنداق عيد رأس السنة الطقسية).

تُعيّد الكنيسة المقدسة في الأول من أيلول من كل عام لبدء السنة الطقسية أو الليتورجية (المعروف بالأنديكتي) فتصلّي من أجل أن يبارك الرب كل لحظة ودقيقة من أيام هذه السنة المقبلة والجديدة في حياتنا، كي تكون هذه اللحظات والأوقات مناسبة لكي نجدد علاقتنا بالرب فنتقدّس ونصير من أبناء الملكوت. نصلّي في هذا اليوم إلى الرب الضابط الكل الذي خلق الكون بكلمة واحدة وأبدع كل المخلوقات المنظورة وغير المنظورة كي يبارك السنة الجديدة ويفيض من خيراته السماوية والأرضية على عبيده المؤمنين. «يا مبدع الخليقة بأسرها، يا مَن وضعتَ الأوقات والأزمنة بذات سلطانك، بارك إكليل السنة بصلاحك يا رب، واحفظ بالسلامة مدينتك، بشفاعة والدة الإله وخلّصنا» (طروبارية العيد). نصلّي في هذا اليوم كي يتغاضى الله عن خطايانا التي اقترفناها في السنة الماضية، وكي يؤهّلنا أن نجوز هذه السنة المقبلة بسيرة مرضية لعزّته الإلهية، وكي يجعل هذه السنة المقبلة سنة خير ورفاه، ويوطّد روح السلام في العالم أجمع، ويثبّت كنيسته المقدسة.

في رأس السنة الطقسية نصلّي كي تكون الأيام التي نحياها على الأرض مناسبة لكي نحيا فيها الخلاص الذي منحنا إياه الرب مجاناً على الصليب ونتهيَّأ لاستقبال الملكوت الآتي ويكون لدينا جواب حَسَناً عندما نقف بين يدي الرب أمام منبره المرهوب.

إنّ للزمن الذي منحه الله للإنسان هدفاً محدّداً هو تألّه الإنسان بالنعمة. لذلك فإن كل زمن، كل لحظة ودقيقة وساعة ويوم، هو مجال للجهاد وفرصة للإفادة الروحية كي يتقدَّس الإنسان. الزمن بالنسبة للمؤمن ليس مجرّد توالي أيام وسنوات يكبر فيها الإنسان حتى يلاقي الموت، بل هو توالٍ للأيام والسنوات التي يكبر فيها الإنسان نحو ملء قامة المسيح، نحو ولادة جديدة في ملكوت الله حيث الحياة التي لا تفنى بقرب الله. انه مناسبة، من خلال أعياد الرب يسوع ووالدة الإله والقديسين، لكي نحيا الخلاص في حياتنا من خلال اشتراكنا في حياة الكنيسة الليتورجية، الأسرار والصلوات في الأعياد. وما الأعياد والتذكارات إلا مناسبات لكي نحيا من جديد، هنا والآن، الخلاص الذي منحنا إياه الله مجاناً، ونختبره مع القديسين الذين حَيوا هذا الخلاص ووصلوا إلى الملكوت وصاروا من أبنائه. في هذا الإطار نستطيع التحدّث عن تقديس الزمن وعن الزمن المقدس إذ تصبح كل لحظة منه مناسبة لخلاصنا.

لقد وعى القديسون أهمية الزمن رغم ان الكثير منهم لم تكن لديهم

واجبات وأعمال دنيوية، بل كانوا يعيشون وحدهم في البراري والصحاري والمناسك. لكنهم لم يضيّعوا ثانية واحدة من حياتهم إلا وجاهدوا من خلال الأصوام والأسهار والصلوات لكي يتقدّسوا ويتقرّبوا من الرب. فكل ثانية من حياتهم هي مناسبة للتقرّب من الله. هذا الإحساس والتقدير للزمن أعطى القديسين معنى لحياتهم ولجهاداتهم، وقد حافظوا عليها في كل مراحل حياتهم، حتى في شيخوختهم، إلى يوم انتقالهم من هذه الحياة.

يحكى عن القديس باييسيوس الآثوسي الذي رقد بالرب في العام ١٩٩٤ وأعلنت قداسته في بداية هذا العام، انه في آخر يوم من حياته فقط لم يستطع إتمام قانون صلاته اليومي، فقال: «اليوم بما أني لم أعد أستطيع، يجب أن أرحل من هذا العالم». لقد اعتبر الشيخ القديس انه إذا لم يعد يستطيع أن يستخدم الوقت المعطى له للجهاد الروحي، فالأفضل له أن ينتهي زمانِ حياته على الأرض، وقد تحقق فعلاً انتقاله إلى السماء في اليوم التالي.

أخيراً، وكما هو معروف، فإن الكنيسة تقيم في كل يوم من أيام السنة الطقسية تذكاراً لأحد الأحداث الخلاصية المستمدة من حياة الرب يسوع ومن أعماله التي قام بها، أو لأحد القديسين (أو أكثر من قديس في اليوم الواحد) الذين قبلوا هذا الخلاص وعاشوه فصاروا نموذجاً ومثالاً نقتدي بهم ونتشجع بهم ونطلب شفاعاتهم كي نحصل على الملكوت. وللتذكير فقط، تحتفل الكنيسة بأعياد القديسين ليس في يوم ميلادهم البيولوجي بل في يوم وفاتهم، أي في يوم ميلادهم السماوي، في السماء. يكتب أحد اللاهوتيين المعاصرين: «عندما تحتفل الكنيسة بعبور القديسين من الأرض إلى السماء فإنها تعلن سر الفصح المحقّق في هؤلاء الذين جاهدوا وتألموا وتمجدوا مع المسيح، تقدّمهم إلى المؤمنين كمثال ونموذج يجتذب الجميع إلى الآب بالمسيح، وتطلب بشفاعاتهم النِعَم الإلهية».

لقد أبقى المسيحيون الأوائل العادات التي كانت سائدة في مجتمعاتهم الرومانية والتي تقضي بزيارة أضرحة موتاهم. إلّا أنّ المسيحيين، كما ذكرنا، اعتبروا يوم وفاة القديس أو يوم استشهاده هو الأهم، فصاروا يزورون الأضرحة في ذكرى رقاد القديس، وصارت تُقام الذبائح الإلهية على هذه الأضرحة. وكان لكل كنيسة محلية شهداؤها وقديسوها. وبعد ان انتهت الإضطهادات وعاشت الكنيسة في سلام في القرن الرابع ابتدأ وضع اللوائح بأعياد وتذكارات القديسين، وصار يُعيّد للقديسين المحليين في كل الكنيسة الجامعة. ومع الوقت توسعت اللوائح وصار يُضاف إليها كل قديس جديد تعلنه أي من الكنائس المحلية، فتحتفل به كل الكنيسة الجامعة دلالة على وحدتها في المسيح.

أدعيتنا في رأس السنة الطقسية أن تكون سنتنا هي «سنة الرب المقبولة» كما يرد في القراءة الإنجيلية لهذا اليوم (لو٤: ١٦-٢٢) ويكون «اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم». نِعَمٌ كثيرة وفرص روحية كبيرة تُعطى لنا اليوم وفي كل يوم خلال السنة الطقسية، فلنغتنِ الوقت ولنعمل لنضمن خلاصنا قبل أن يفوت الأوان.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www .quartos.org.lb

«أصبحوا أوّل المؤمنين وباكورتهم» ليدلّ على أنهم إلى جانب الإيمان أظهروا حياة فاضلة إذ ان الأعمال هي الذبائح المفضّلة. لقد قدّموا ذواتهم من كلّ جانب واستحقوا المديح. على الباكورة أن تكون أفضل من الثمار الباقية لأنها تتقدّمها. وقد شهد الرسول لهم بذلك. لم يؤمنوا بصدق فحسب بل أظهروا تقوى عالية وفضيلة كبيرة وسخاء في عمل الإحسان. من جهة أخرى يُظهر تقواهم بقوله كانت العائلة كلّها تقيّة. ويقول أيضاً: «رتّبوا أنفسهم لخدمة القدّيسين». يدلّ بذلك على سعيهم الدؤوب إلى الأعمال الصالحة. لاحظوا المديح المفرط: لم يقل خدموا القدّيسين بل قال كرّسوا أنفسهم لخدمة القدّيسين أي اهتمُّوا بهذه الخدمة باستمرار ورغبوها.

«كي تخضعوا أنتم أيضاً لمثل هؤلاء وكلّ مَن يعمل معهم ويتعب» (١ كور ١٦: ١٦).

أي عليكم أن تساهموا معهم في المساعدة المالية والجهد الجسدي وتشتركوا بأعمالهم. لأن تعبهم سيضحي هكذا خفيفاً عندما تشتركون معهم في الجهاد كما أنّ إحسانهم سوف يتوزّع على مزيد من الناس.

القديس يوحنا الذهبي الفم